مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

القراءات الشاذة والاختلافات الصرفية والدلالية

دراسة وصفية تطبيقية

إبراهيم عبدالله سويسي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية طرابلس، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا.

البريد الإلكتروني: ab.swasy@uot.edu.ly

Article history

Received: Mar 25, 2024 Accepted: Mar 30, 2024

الملخص:

تعد القراءات الشاذة من أهم مصادر اللغة فضلا عن مكانتها، لما تزدخر به من ثروة لغوية تعبر عن الهوية العربية في فصاحة لسانها، وتجسيدا لهذا الواقع قُدمت هذه الدراسة في محاور تطبيقية توضح التنوع اللغوي وتصف الفكر المعرفي الذي كان آنذاك، فتناقلته العلوم اللغوية عبر العديد من المكونات الفكرية ومستويات متنوعة موسومة بـ" القراءات الشاذة والاختلافات الصرفية والدلالية دراسة وصفية تطبيقية "، نعرض فيها جملة من الأنماط اللغوية ذات الألفاظ المتغيرة شكلت ثروة لغوية وفق قواعد عربية، وذات معان ودلالات حافظت عليها هذه القراءات، فكان التعدد والاختلاف، وهو ما سنحاول من خلاله الوصول إلى معرفة وجه الشذوذ وعلاقته بالاختلافات الصرفية والدلالية ، فاقتضت أن تتضمن المحاور الرئيسية التالية:

المحور الأول: الاختلافات الصرفية؛ فقد تباينت الاختلافات فيما بينها وتعددت من إضمار وحذف وتغير في الصيغة وغير ذلك من التغيرات الصوتية والصرفية.

المحور الثاني: الاختلافات الدلالية؛ تتمثل هذه الاختلافات في التنوع الشكلي ذات الأصل الواحد وتعدد المعنى من أوجه مختلفة وقراءات متعددة وصلت إلى اثنى عشر موضعا ولكل موضع أوجه مختلفة، وتغيرات دلالية تطورت عبر مراحل متعددة، سنناقش نماذج منها في ثنايا هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: القراءات، الصرفية، الدلالية، الشاذة، العربية.

Anomalous Readings and Morphological and Semantic Differences An Applied Descriptive Study in Light of Modern Linguistics

A B S T R A C T:

Anomalous readings are considered one of the most important sources of language as well as its status due to its abundance of linguistic wealth that expresses the Arab identity in the eloquence of its tongue of intellectual components and various levels. This study was marked by Anomalous readings and morphological and semantic differences: An applied descriptive study in the light of modern linguistics, where we present a set of linguistic patterns with variable expressions that formed a linguistic wealth according to Arabic grammar, and with meanings and indications preserved by these readings, so there was multiplicity and difference, which is tried to be reached to know the aspect of anomalous and its relationship to morphological, semantic and grammatical differences. Hence, this study includes the following main axes; the first, morphological differences; the differences varied between them, and they multiplied from inclusion, deletion, change in formula, and other phonetic and morphological changes.

The second, semantic differences; these differences are represented in the morphological diversity of one origin and the multiplicity of meaning from different aspects and multiple readings that reached twelve positions, and each position has different aspects, and semantic changes that developed through multiple stages. Examples of them will be discussed in the folds of this study.

Keywords: Readings, Morphological, Semantic, Irregular, Arabic.

المقدمة:

حظيت الدراسات القرآنية باهتمام واسع، بله الشاذة منها، غير أن أغلبها كانت حول الخلافات النحوية والصرفية من حيث التوجيهات والترجيحات، ولم تلتفت إلى مثل هذه الدراسة التي نحن بصددها، عدا قليل من الباحثين من علماء اللغة المعاصرين على رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (اللهجات العربية)، والدكتور عبدالصبور شاهين في كتابه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث)، مسلطا الضوء على علاقة الشذوذ باللهجات العربية والعجمة وتحليلها ومن ثم الحكم عليها، ، فارتأيت الاهتمام بها

وخوض غمارها وسبر أغوارها لعلي أحظى بالوصول إلى بعض نتائجها، والكشف عن أسرارها، فحاولت أن أبدأ من حيث انتهى الدكتور عبدالصبور شاهين في دراسة مختصرة علَها تكون نواة لدراسات أوسع ، عنونتها بـ"بالقراءات الشاذة والاختلافات الصرفية والدلالية دراسة وصفية تطبيقية".

أهداف الدراسة:

نحاول في هذه الدراسة الوقوف على علاقة هذه الاختلافات وأثر الشذوذ في هذه القراءات.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة كونها متقدمة حوت العديد من المسائل نحاول وضع حلول لعلاجها بنظرة معاصرة للقراءات الشاذة.

الدراسات السابقة:

من خلال تتبعنا واستقرائنا استوقفنا حديث الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) عن الجانب الصرفي والدلالي حيث عمل على تصنيفها ولم يعمل على تحليلها ودراستها على النحو الذي سار عليه في الجانب المعجمي واللهجات؛ لوضوح فكرتهما – حسب قوله– وأنها تحتاج إلى دراسة مستقلة وواسعة، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث.

منهج الدارسة واجراءاتها:

تتبعت فيها المنهج الوصفي التحليلي، اقتصرت فيها على بعض المواضع التي صنفها وأشار إليها في دراسته، وسيكون إيرادها لرواياتها الشاذة بالقياس إلى قراءة قالون عن نافع. مقسما إياها على النحو التالي:

المقدمة: بينت فيها أهمية هذه الدراسة والهدف منها.

المحور الأول: الاختلافات الصرفية؛ تباينت الاختلافات الصرفية فيما بينها وتعددت إلى جانب الاختلافات الصوتية والنحوية، ذكرت منها خمس نماذج من القراءات بينت علاقتها بالشذوذ وأثره فيها.

المحور الثاني: الاختلافات الدلالية؛ تتمثل هذه الاختلافات في التنوع الشكلي ذات الأصل الواحد وتعدد المعنى من أوجه مختلفة وقراءات متعددة ، وتغيرات دلالية تطورت عبر مراحل، سنناقش نماذج منها في ثنايا هذه الدراسة.

المحور الأول: الاختلافات الصرفية:

سنحاول في هذا المحور عرض بعض نماذج من القراءات الشاذة التي تشير إلى اختلافات صرفية، بهدف وصفها وبيان صلة شذوذها بالاختلاف على النحو الذي سنبينه، من خلال النماذج التالية :

1- قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ البقرة، (257)، الشاهد قوله تعالى:﴿ الطاغوت﴾، وهي قراءة على الجمع للحسن بن أبي الحسن البصري من رواية جويرية بن بشير عنه(ابن جني، 1420هـ-1999م، 1/ 131)، قال العكبري:" وقد قرئ (الطواغيت) على الجمع، وإنما جمع وهو مصدر لأنه صار اسما لما يعبد من دون الله"،(العكبري، د.ت،1/ 108)، وقد أوضح ابن جني علة ذلك فقال:" ينبغي أن يُفهم هذا الموضع؛ فإن فيه صنعة؛ وذلك أن الطاغوت وزنها في الأصل فَعَلُوت، وهي مصدر بمنزلة الرغَبوت والرهَبوت والرحَموت، وقد يقال فيها: الرَّغَبُوتَى والرهبوتى والرحموتى، ويدل على أنها في الأصل مصدر وقوع الطاغوت على الواحد والجماعة بلفظ واحد، فجرى لذلك مجرى قوم عدل ورضًا، ورجل عَدلٌ ورضا، ورجلان عدل ورضا..." (ابن جني، 1420هـ- 1999م، 1/ 131)، فهو اسم جنس يدخل تحت مسماه كل أجناس الطواغيت وإنما كان ذلك حملا على المعنى كقوله سبحانه:﴿ ثم اسْتَوَى إِلى السماءِ فَسَوَّاهنَّ﴾(البقرة، 28)، فجَعل السماء جِنساً يدخُل تحته جميعُ السموات ،وكما قال سبحانه: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الذين لم يَظْهَرُوا على عَوْراتِ النِّساء﴾(النور،31)، فإنه أَراد بالطفل الجنس الذي يدخل تحته جميع الأَطفال ، وجواز ذلك ما قرره السمين الحلبي في قوله بأنه :" لمَّا أطلق على المعبودِ مِنْ دونِ الله اختلفَت أنواعُه، ويؤيِّد ذلك عَوْدُ الضمير مَجْمُوعاً من قولِهِ:﴿ يُخْرِجونهم﴾"(الدر المصون،549/2)، وعلى هذه القراءة يكون الضمير قد جرى على ما هو له فيكون أنسب وأبين في الدلالة والسياق، قال الرازي في تفسيره:" أما قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾"البقرة،256، فاعلم أنه قرأ الحسن:﴿أولياؤهم الطواغيت﴾، واحتج بقوله تعالى بعده: ﴿يخرجونهم﴾، إلا أنه شاذ مخالف للمصحف وأيضا قد بينا في اشتقاق هذا اللفظ أنه مفرد لا جمع"(الرازي، د.ت،7/ 19).

ولابن عاشور ملمح صرفي أفاد فيه سر هذه القراءة حيث قال:" فأصله طَغْوُوتٌ فوقع فيه قلب مكانيٌّ بتقديم لام الكلمة على عينها فصار طَوَغُوتٌ بوزن فَلَعُوتٍ، والقصد من هذا القلب تأتِّي إبدالِ الواو ألفا بتحرُّكها وانفتاح ما قبلها، وهم قد يقلبون حروف الكلمة ليتأتّى الْإبدالُ كما قلبوا أَرْءَامَ جمعَ رِيمٍ إِلَى آرَامَ لِيَتَأَتَّى إبدالُ الهمزة الثانية الساكنة ألفا بعد الأولى المفتوحة، وقد يُنزِلون هذا الاسم منزلة المفرد فيجمعونه جمع تكسيرٍ على طواغيتَ ووزنه فَعَالِيلُ..."(ابن عاشور،1984م،86/5) ، وغاية ذلك أن القراءة جاءت على الأصل لهذه اللفظة بغض النظر عن أصل ألفها ياء أو واوا، كما نص ابن جني على ذلك، وللقراءة على هذا وجهان: الأول مجيء الضمير في (يخرجونهم) على ما هو عليه وهو الأصل في القاعدة النحوية، والثاني ورود هذه اللفظة على هذا الجمع مناسب لأصلها وبنيتها الجذرية وما طرأ عليها من تغيير، وهو غاية الصرفي ومقصده ومراده. غير أن أصل الألف ياء في طواغيت يحتاج إلى بيان وتعليل على النحو الذي ذكره ابن جني،(ابن جني، د.ط ،1420هـ- 1999م،132/1)، وهو من الشبه اللفظي الذي يقع في ألفاظ كثيرة من العربية، حيث يميلون الألف عند الجمع واوا في نحو: عاقول وعواقيل، وراقود ورواقيد، قال سيبويه:" سمعنا بعضهم يقول: طلبتا وطلبنا زيد؛ كأنه شبه هذه الألف بألف حبلى؛ حيث كانت آخر الكلام ولم تكن بدلًا من ياء" (سيبويه،1408هـ - 1988 م. 2/ 263)، قال ابن جني": فكذلك شبهوا ألف طاغوت بألف جاموس وعاقول"، (1420هـ- 1999م،./132)، غير أنه في موضع آخر استدرك مجيئه على طواغيت جمع تكسير قياسا على نظائره وهي لغة عند قوم فقال:" وكان قياسه إذا كسر أن يقال: طياغيت، إلا أنه ينبغي أن يكون الطواغيت جاء على لغة من قال: طغوت. ومثال طواغيت -على ما ترى- فلاعيت،

وتبني مثلها من ضرب فتقول: ضاربتن ومن قتل قلاتيت، ومن وأيت ويائيت...". (ابن جني،1420هـ-1999م.1/132).

ومن هنا نستطيع القول: إن لهذه القراءة وجها ثالثا، قياسا على الشبيه والنظير في لغات العرب من حيث القلب والإبدال على ما ورد عند ابن جني وسيبويه وغيرهما من أهل اللغة، وهو وجه مقبول ارتضاه أهل اللغة من النحويين والصرفيين، قال ابن جني بعد أن ذكر الوجه الآخر للطاغوت:" والوجه الأول أقرب مأخذا، وهذا الثاني أيضا مقبول على ما ترى"، (ابن جني، 1420هـ- 1999م.1/132) يضاف إليه أن هذه القراءة تأتي دليلا على مصدرية أصلها ولهذا استدل الفارسي بها حيث قال في:﴿ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّواغِيتُ﴾(البقرة، 256): "فإِنَّهُ جُمِعَ كَمَا تُجْمَعُ المَصَادِرُ"،(الفارسي،1419 هـ،1999 م. ص407)، وعليه فهذه القراءة الشاذة أكدت في أكثر من وجه موافقتها العربية على النحو الذي قرره أهل القراءات.

2- قوله تعالى:﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران،41)،الشاهد قوله تعالى:﴿ رمزا﴾: بضمتين، وهي قراءة يحيى بن وثاب، وعلقمة بن قيس، والأعمش، والحسن النخعي،(ابن جني،1420هـ-1999م.1/161، وأبو حيان، 1420 هـ. 3/14)، على أنه جمع رَموز كرُسُل ورسول، قال الأزهري نقلا عن الكسائي:" ما كان جمع فعال وفعيل وفعول فهو فُعْل (مثقل)"، (الأزهري، 2001م. 8/138)، ويؤيد ذلك، ما جاء عن الفراء قوله:"...وهو مثل قولك: الرسْل والكتب فى لغة تميم وبكر بالتخفيف والتثقيل وجه القراءة، لأن كلّ فعول أو فعيل أو فِعال جمع على هذا المثال، فهو مثقّل مذكراً كان أو مؤنثاً، والقراء على ذلك"(الفراء،، د.ت.5/ 74)، ويرى ابن جني أن" ما سمع في شيء فُعْل إلا سمع فيه فُعُل"،(ابن جني، 1420هـ-1999م. 1/162)، وجوز أبو البقاء أن يكون رَمْزاً على قراءة الضم مصدرا، على فُعْل بتسكينِ العينِ في الأصلِ، ثم ضُمَّتِ العينُ إتباعاً والضم عارض للإتباع ،أي: وَأَتْبَعَتِ الْعَيْنُ الْفَاءَ كاليُسْر واليُسُر(العكبري، د.ت. 1/258)، وقد اعترض السمين الحلبي على هذا الوجه بوصفه:" كلام مُتْبَجٌ لا يُفْهَمُ منه معنًى صحيحٌ"، (الدر المصون،د.ت. 3/ 167)، وهي لغةُ بعضِ قيس، يُتْبعون الثاني للأول،(الدر المصون، د.ت. 3/ 167)، لتأثر حركة الفاء بالعين ليتماثلان في النطق حتى تكون حركة أعضاء النطق من وجه واحد وهو ما يسمى عند المحدثين بالإتباع التقدمي، أو بظاهرة التحول الداخلي،(شاهين، 1427هـ، 2007م. ص:283-287).

وبشكل عام فإن الانتقال من الخفيف إلى الثقيل ظاهرة لغوية عند بعض القبائل العربية منها هذه القبيلة بما يعرف بظاهرة التضجع ومع ثقله من الكسر والفتح وأشد منهما قوة، فإنه قد يحتمل فيه (أي: في الضم) ما لا يحتمل للضعف، وفي الإتباع أيضا إتباع لما هو مقرر عند الصرفيين كونه في الحركة إذا كانت قوية كحركة الضم والكسر، فإذا كان إتباع حركة العين الفاء بفاصل بينهما له وجه في العربية مثل (منتن) فالإتباع من غير فاصل كذلك فمن بابٍ هو أولى.

وقد صرح الحلبي بوجود اختلاف صرفي في هذه القراءة، بقوله:" وفيه خلافٌ. هل هو أصلٌ، أو مثقلٌ من المسكّن؟ "،(الحلبي، د.ت، 11/46)، فعلى القول بأن الأصل فيه إسكان العين فهو جمع مفرده (رمز) بإسكان عينه كما في ظُلْمة وظُلُمة، وقد يكون جمع رُمْزة: رُمْز، ثم أتبعت ضمة الميم ضمة الراء،

كما ذكر ذلك ابن جني أيضا.

وبناء على ما سبق فإن كل جمع جاء على تلك الصيغ ومنها (فعول) يكون مفرده على (فعل) جائز مسموع عند العرب تقويه هذه القراءة وفاقا على لغة بعض قيس – وهي من القبائل المشهورة–، بغض النظر عن الانتقال من الخفيف إلى الثقيل؛ إذ ذلكم ظاهرة لغوية عندهم، وهو اتجاه عام يمكن على ضوئه بناء قاعدة نحوية عليه ومن نظائره قوله تعالى: ﴿عُرُباً أترابا﴾، الواقعة،39، ومنه قراءة حفص والأعشى عن أبي بكر عن عاصم (جُرُفٍ) مثقل، وكذلك قرأ الباقون (جُرُفٍ) بضمتين. قال أبو منصور:" هما لغتان: جُرُفٍ وجُرْفٍ"(الأزهري،1412 هـ – 1991 م.1/ 465).

ولعلي أختم بنكتة أشار إليها ابن جني، وتلك في بيان مفارقة ما هو ساكن الوسط وبين ما هو متحركه في مثال (فعُل) لما في السكون مع الفتح مضارعة في أشياء قال ابن جني:" منها أن كل واحد منهما يهرب إليه مما هو أثقل منه نحو قولك في جمع فُعلة وفِعلة: فُعُلات بضم العين نحو غرفات وفعلات بكسرها نحو كسرات ثم يستثقل توالي الضمتين والكسرتين فيهرب عنهما تارة إلى الفتح فتقول: غرَفات وكسَرات, وأخرى إلى السكون فتقول: غُرفات وكِسرات. أفلا تراهم كيف سووا بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة والكسرة"،(ابن جني، د.ت، 1/ 60)، وفي رأي أن النطق بضمتين أصل في الحركات وإنما جيء بالتسكين والفتح هروبا إلى التخفيف، قال ابن جني في قراءة من قرأ: ﴿وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾(المائدة،2، بإسكان الراء:"هذه اللغة تميمية، يقولون في (رسل): رسل، وفي (كتب): كتب، وفي (دجاج بيض): دجاج بيض، وذلك أنه صار إلى فعل، فجرى مجرى جمع أبيض إذا قلت: بيض"(ابن جني، 1420هـ،1999م.1/162).

3- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، (آل عمران،51)، الشاهد قوله تعالى:﴿الحواريون﴾، قرأها إبراهيم النَّخَعِيُّ، وأبو بكر الثقفيُّ بتخفيف الياء استثقالا من التضعيف وهو ما عليه طبيعة العرب، وهذا لعلة صرفية أوضح تغييرها أبوحيان الأندلسي بقوله:" والعرب تستثقل ضمة الياء المكسور ما قبلها في مثل: الْقَاضِيُونَ، فتنقل الضمّة إلى ما قبلها وتحذف الياء لالتقائها ساكنة مع الساكن بعدها، فكان القياس على هذا أن يقال: الْحَوَارُونَ، لكن أُقِرَّت الضمةُ ولم تَنْقُل دلالةً على أن التشديد مُرَادٌ، إذ التشديد يحتَملُ الضمة كما ذهب إليه الأخفش في: يَسْتَهْزِئُونَ، إذ أبدل الهمزة ياء، وحملت الضمّةَ تَذَكُّرًا لحال الهمزة المُرادِ فيها"، (أبو حيان، 1420هـ. 3/ 174)، وعلى ضوء هذا يكون تشديد الياء هو الأصل لأنها ياء النسبة وأبقيت الضمة دليلا عليها، وهذا موضع تعافه العرب وتمتنع منه،(ابن جني، 1420هـ-1999م.1/ 162)، ولكنهم اختاروا التشديد لتصورهم أن الضمة تحتمل التشديد، وأما فيمن حذف من الياءين ففي تصوري أنها ياء الكلمة إبقاء لياء النسب إذ أنها المراد كما هو حال النسب إلى شافعي وكرسي، قال ابن جني:"...ألا ترى أن الحواريَّ بمنزلة كرسي في أنه نسب لفظي، ولا حقيقة إضافة تحته؟"، (ابن جني، 1420هـ-1999م.1/ 163)، وعلى نحو هذا في كل جمع مما ياؤه أصلية تحذف مع كسرتها فتقول" في جمع القاضي، مما ياؤه أصلية، والداعي، مما ياؤه منقلبة عن واو: القاضون والداعون"(الأزهري، 1421هـ- 2000م. 2/511)، والأصل فيهما: القاضيون والداعيون: حذفت ضمة الياء للاستثقال ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين. وحذفت الكسرة التي كانت قبل الياء لئلا يلزم قلب الواو ياء لوقوعها ساكنة إثر كسرة، ثم عوض من الكسرة الضمة لمناسبة الواو

على النحو السابق الذي بينه ابن جني، وإن شئت قلت: استثقلت الضمة على الياء فيهما فنقلت منها إلى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين.

والمعلوم عند أهل الاحتجاج أن الإدغام في اللغة العربية ينحصر في النوع الذي يتأثر فيه الصوت الأول بالتالي وهو ما يسمونه بالتأثر الرجعي، عدا بعض القراءات التي يتأثر فيه الصوت الثاني بالصوت الأول وهو ما يسمونه بالتأثر التقدمي، فضلا على أن الإدغام لهجة التميميين، والإظهار لهجة الحجازيين، وفي مثل هذه القراءة إذا اتصل المضعف بواو جمع اشترك الحجازيون مع غيرهم من العرب في الإدغام.(الأزهري، 1421هـ- 2000م.2/ 763).

4- قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون﴾،(الأنعام،106)، الشاهد قراءة قوله تعالى:﴿ درست﴾، حيث جاء هذا اللفظ على قراءات شاذة تحمل دلالات متعددة، تنوعت بين إثبات الألف وإسقاطها، فعلى الوجه الأول قرأها ابن عباس ومجاهد بفتح التاء(الأزهري،2001م. 12/ 250، مادة: درس).من المفاعلة "بتصوير التشارك المدعى بين النبي ومن دارسه في زعم المشركين، بعد أن كان الادعاء في القراءة المشهورة مجرد إخبار بوقوع الحدث، وهو الدرس" ،(شاهين، 1427هـ-2007م. ص293)، ومنهم من قرأها بسكونها بمعنى فاعلت،- وهو ما يسمى في ضوء علم اللغة الحديث بظاهرة التحول الداخلي، مثل قوله تعالى (مالك) فالحركة المحولة : فتحة طويلة- كسرة، ولهذا التحول دلالته في المعنى-، قال الدكتور عبد الصبور شاهين:" وعلى ذلك يقاس جميع أمثلة التحول في القراءات المختلفة"، (1427هـ-2007م. ص285)، وعلى الثاني، فمنهم من قرأها درس بثلاث فتحات من غير تشديد، بمعنى عُفِيَتْ أَوْ قُرِئَتْ، قال الأندلسي:" أمَّا بمعنَى قُرِئَتْ، فظاهرٌ لأنَّ (دَرَسَ) بمعنى كَرَّرَ القراءة مُتَعَدّ، وأمّا (دَرَسَ) بمعنى (بَلِيَ) وَ(أُمْحِيَ) فلا أحفظُه متعدّيا، وما وجدْناه في أشعار منْ وَقَفْنا على شِعرِه مِنَ العرَب إلا لازما "،(1420هـ. 608/4)، وفرقة قرأت بثلاث فتحات مع تشديد الراء مفتوحة وتاء المخاطب على وزن (فعَل)، وقُرِئَ﴿ دَرَسْتَ﴾ بالتَّشديد والخطاب أي: دَرَّسْتَ الكتُب القديمةَ، وقرأ قتادةُ والحسنُ وزيدُ بنُ عليٍّ (دُرِستْ) مبنيًّا للمفعول (ابن كثير، 1419هـ. 281/3)، وفيه ضمير الْآيَات غائبًا وهي قراءةُ ابنِ عباسٍ بخلافٍ عنه، وقرأ أُبَيٌّ ﴿دَرَسَ﴾، أَي: محمدٌ أوِ الكتاب. من الواضح أن هناك اختلافات كثيرة في القراءة، والاختلاف في البنية يؤدي إلى اختلاف في المعنى؛ فعلى الظاهرة الصوتية في لغة التميميين (الأندلسي، 1420هـ. 233/2)، إذ إنهم أكثر ميلا إلى التضعيف (الراجحي، د.ت. ص143)؛ تماشيا مع الطبعية التي عليها أهل البادية-، يحتمل أن يكون للتكثير وأن يكون للتعدية بخلاف التخفيف في نحو قراءة (درس) بثلاث فتحات الذي عليه أهل الحضر من قبائل أهل الحجاز، وعلى هذه القراءة يتفرع اتجاهان متوازيان، وذلك بحسب المعنى الوظيفي للفعل تعديا ولزوما، فعلى الأول يكون بمعنى: قُرِئَتْ وبَلِيَتْ؛ لأن دَرَسَ بمعنى كرَّر القراءة متعدٍّ، وعلى الثاني يكون بمعنى بَلِي وانمحى، فلا يكون متعدياً:"... ولا وَجَدْنا فيمن وَقَفْنا على شعره من العرب إلا لازماً.."،(الحلبي، د.ت. 97/5)، فالمعنى الدلالي لهذا اللفظ هو مدار تحديد المعنى الوظيفي له، فبإثبات الألف ودلالة الإضمار في اسم الفاعل له معنيان الأول على معنى الجماعة دل عليه السياق، والثاني على معنى الإناث للمبالغة(الحلبي، د.ت. 5/ 97)، وبإسقاطه يكون المعنى على النحو الذي سقناه، ومنه جاء الاختلاف في تعدد أوجه القراءة، بمعان مختلفة أو بمعنى واحد

قال القرطبي:" وهذه القراءات كلها يرجع اشتقاقها إلى شيء واحد، إلى التليين والتذليل"،(القرطبي، د. ت. 7/ 59)، وهو من أثر الصيغ الفعلية في تعدد الوجوه على رأي علماء اللغة المعاصرين.

ولما سبق، يجعلنا نرسم اتجاها عاما للقراءات القرآنية، ينبني عليه ظاهرة عامة في أغلب القراءات الشاذة والصحيحة، ولذلك أشباه ونظائر.

5- ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾،(التوبة 10)، الشاهد قراءة قوله تعالى:﴿إيلا﴾، قرأها عكرمة،(ابن جني، 1420هـ-1999م.1/ 283)، وذلك بقلب اللام ياء لثقل الإدغام، سماه الدكتور عبده الراجحي بالمخالفة؛ لاجتماع صوتين متماثلين،(د.ت. ص 160)، فأبدلت اللام الأولى ياء وهو صائت طويل، فيكون قد اجتمع ثقيلان على الكلمة كسرة الهمزة وثِقَل الهمزة، ثم التشديد الذي على اللام فذهب إثر ذلك الثقيل المستثقل إلى هذا التخفيف، فهذه الظاهرة نسبت إلى بني عبد القيس، وهم بطن من أسد مجاورين لبني تميم الذين يغلب عليهم هذا الميل، ولهم فيه نظائر، من ذلك "قولهم: أما وأيما وقد قلبوا الثاني منهما فقالوا في أمللت: أمليت، وفي أَمَلَّ: أَمْلَى أنا. وحدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى عنهم: لا وَرَبْيِك لا أَفعل؛ أي: لا ورَبِّك"، (ابن جني، 1420هـ-1999م.1/ 283)، وكدينار؛ لقولهم: دنانير، وقيراط: قراريط، وديماس فيمن قال: دماميس، ونظيره قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿فذانك﴾ مشددة النون، وروي عن ابن كثير (فذانيك) بإبدال النون الثانية إلى صائت طويل وهو الياء(الأندلسي، 1420 هـ.8/304)، قال الواحدي:" والإبدال من التضعيف كثير، ومنه قوله: ﴿يَتَمَطَّى﴾ إنما هو: يتمطط، ومثله: التقصي، والتظني"(الواحدي، 1430 هـ .17/ 392)، وفي هذا الصدد تحديدا -وهي ظاهرة إبدال اللام ياء- نرى سيبويه قد نفى عنها الاطراد بقوله:" باب ما شذ فأبدل مكان اللام والياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد وذلك قولك: تسريت، وتظنيت، وتقصيت من القصة، وأمليت، كما أن التاء في أسنتوا مبدلة من الياء، أرادوا حرفاً أخف عليهم منها وأجلد، كما فعلوا ذلك في أتلج، وبدلها شاذ هنا بمنزلتها في ستٍّ، وكل هذا التضعيف فيه عربيٌّ كثير جيد"، (سيبويه، 1408هـ - 1988م. 4/424)، وقد وصف ابن يعيش هذه الظاهرة وأشباهها بالشذوذ ولا يقاس عليها( )، (ابن يعيش، د.ت.5/374)، وهذا ملحظ يكشف لنا صلة الشذوذ بالقراءة على النحو الذي أشار إليه علماء اللغة والنحو القدامى، ومن جانب آخر يذهب الدكتور يحيى بن علي المباركي إلى القول بأن ما حدث ليس إبدالا في حقيقته إنما هو:" حذف لثاني الحرفين المثلين في هذه الألفاظ وأشبعت حركة المثل الأول، فنتج حرف علة طويل أو لين من جنسها (صائت)".(الدرعية، إبدال الحروف الصوامت حروفا صوائت في اللغة العربية، ، السنة الرابعة- العدد الخامس عشر، رجب 1422هـ/ أكتوبر 2001م. ص4).

وأيا ما كان، فمن خلال ما سبق يتضح أن الإبدال حدث بين صوتين صامتين أبدل أحدهما حرف علة ولين -صوت صائت -وهو الياء لما تتميز بها أي: أحرف العلة واللين من مميزاتها لا تتوفر في الأصوات الصامتة، إذ تنفرد بميزة الوضوح السمعي؛ حيث تسمع من مسافة عندها قد تخفى الحروف الصحيحة أو يخطأ في تمييزها، وقد أتتها لعدم الاحتكاك عند النطق بها، مما جعلها هادئة خالية من الضوضاء لها القدرة على الاستمرار ولا تحتاج إلى جهد عضلي من الجهاز النطقي للمتكلم؛ طلبا للخفة، وهذا ما نص عليه ابن سيده بقوله:" إن حروف العلة أحق بالإبدال من كل ما عداها من الحروف لاجتماع

ثلاثة أشياء: طلب الخفة، والكثرة، والمناسبة بين بعضها وبعض من جهة ما فيها من المد واللين، ومن جهة ما يمكن بها في الشعر والتلحين، ومن جهة اتساع مخرجها على اشتراكها في ذلك أجمع... فلهذه العلة من اجتماع الأسباب الثّلاثة كانت أحقّ بالإبدال من غيرها"(ابن سيده،1417هـ 1996م.180/4).

وما لمسناه من هذه الألفاظ القرآنية من تغيير نستطيع القول: بأن ظاهرة التخفيف في عمومه وصوره يمكن أن تعزى إلى أهل الحجاز في بعض صوره وإلى أهل تميم وقيس في بعضه الآخر.

6- قال تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، (الأنبياء،64)، الشاهد قراءة قوله تعالى:﴿ وحرام﴾، اختلف القرأة في هذا اللفظ فمنهم من قرأها بضم العين ومنهم من كسرها ومنهم فتحها من غير ألف بعد الراء،(اليشكري، 1428 هـ - 2007 م. ص 602)، والكل بمعنى حرام قال أبو جعفر:" واشتقاق هذا بين من اللغة، وشرحه: أن معنى حرم الشيء حظر ومنع منه كما أن معنى أحل أبيح ولم يمنع منه فإذا كان حرام وحرم بمعنى واحد فمعناه أنه قد ضيق الخروج منه ومنع فقد دخل في باب المحظور بهذا"،(النحاس، د.ت.80/3)، وقال ابن جني:" وأما "حَرُمَ" فمن حَرَمْتُه الشيءَ: إذا منعْتُه إياه، فقد عاد إذًا إلى معنى: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ) "(1420هـ- 1999م. 66/2)، وعلى هذه القراءة بضم عين الفعل يستلزم لزومية الفعل للغرائز والطباع وهو يعكس الصفة الملاصقة لهؤلاء القوم على الدوام والثبوت والاستمرار، وقد علل ابن جني لزومية هذا الفعل بقوله:" باب على حدته لا يكون متعديا أبدا، إنما يكون للهيئة التي يكون الشيء عليها, نحو: "ما كان ظريفا ولقد ظرُف..."، (ابن جني، 1954م. ص188)، ولعل هذا التنوع الثلاثي في حركة عين الفعل إنما يرجع لما يستحسنه القوم عند التكلم إذ لم يقف الصرفيون وعلماء اللغة على قاعدة قياسية تضبط هذه الحركة، - إلا ما جاء عنهم في الحديث عن ظاهرة التحول الداخلي-، فعن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري أنه قال:" طُفْتُ في عُلْيا قيس وتميم مدة طويلة أسألُ عن هذا الباب صغيرَهم وكبيرَهم لأعرف ما كان منه بالضم أولى وما كان منه بالكسر أولى فلم أجدْ لذلك قياسا وإنما يتكلم به كلُّ امرئ منهم على ما يَسْتَحْسِن ويستخفُّ لا على غير ذلك"(السيوطي، 1418هـ- 1998م. 1/ 16)، يفهم من هذا النص أن الأمر متروك للاستحسان، لا لقياس أو اطراد، وما جاء في هذه القراءات من تعدد الأوجه لا يمكن أن ننسبه للهجة ما أو قبيلة معينة بذاتها، وهو ما قرره الدكتور مختار الغوث.(النجار، 1421هـ. ص 387-388)، وهذه المتغيرات الحركية التي طرأت تعد اختلاف حركة لا اختلاف معنى على ما قرره ابن جني والنحاس، وأكده عبد الصبور شاهين بقوله:" وترتبط مشكلة الصيغ الفعلية في الروايات- إلى جانب كونها نتيجة إلصاق سابقة، أو زائدة وسطية- بالتحول الداخلي أيضا، أي أن الزيادة على الأصل تحدث دائما تحولا في حركاته"(14271هـ- 2007م. ص286)، وأن وجه الشذوذ في هذه القراءات يكمن في قلة استعمالها، ويقوي هذا الرأي قول ابن جني، وهو :"وإن كانت إحدى اللفظتين أكثر في كلامه من صاحبتها فأخلق الحالين به في ذلك أن تكون القليلة في الاستعمال هي المفادة والكثيرة هي الأولى الأصلية. نعم وقد يمكن في هذا أيضًا أن تكون القلّى منهما إنما قلة في استعماله لضعفها في نفسه وشذوذها عن قياسه، وإن كانتا جميعًا لغتين له ولقبيلته" (ابن جني، د.ت. 373/1).

المحور الثاني: الاختلافات الدلالية.

سنعرض في هذا المبحث دراسة لبعض القراءات التي تشير إلى اختلافات دلالية، بقصد بيان الصلة والعلاقة بين الشذوذ والاختلاف الدلالي، على البيان التالي:

1-قال تعالى:﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (البقرة، 103)، الشاهد قراءة قوله تعالى:﴿ راعنا﴾ بالتنوين، على قراءة الحسنِ وأبي حَيْوَة:﴿(راعِناً﴾ جاء ليضيف معنى جديدا يختلف عن المعنى من غير تنوين ،من جانبين الأول، وهو المعنى الدلالي، الذي يفيد الجهل والحمق،(الأندلسي، 1420 هـ. 542/1)، قال الألوسي في سياق ذكر هذه الآية:" والرُّعونة: الجَهْل والحُمْق والهَوَج، وأصلُ الرُّعونة: التفرُّقُ، ومنه: (جَيْشٌ أَرْعَنُ) أي: متفرِّقٌ في كل ناحية، ورجلٌ أَرْعَنُ: أي ليس له عقْل مجتمعٌ، وامرأةٌ رَعْنَاءٌ"،(د.ت. 1/ 348)، وأكده ابن عطية في محرره بالقول:" راعنا، بالتنوين، وهذه من معنى الجهل،..."، (د.ت. 1/ 189)، ولهذا اللفظ في عمومه مع التنوين معان وصفية أخر منها النتوء والبروز، قال ابن فارس":يقال: رَعَن الرجلُ يَرْعَنُ رَعَناً"، (الأزهري، 2001م. 272/1)، وهو المعنى الدلالي الأصيل لهذا اللفظة القرآنية الذي يدل عليه السياق قال الألوسي:"...وقيل: أرادوا نسبته- صلى الله تعالى عليه وسلم- وحاشاه إلى الرعن، فجعلوه مشتقا من الرعونة وهي الجهل والحمق،..." (الألوسي، د.ت. 1/ 348)، ولو تتبعنا تاريخ تطور معنى هذه الكلمة لوقفنا عند حد قول الألوسي:" وأخرج عبيد وابن جرير والنحاس عن عطاء قال: كانت راعِنا لغة الأنصار في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عنها في الإسلام، ولعل المراد أنهم يكثرونها في كلامهم واستعملها اليهود سبا فنهوا عنها. وأما دعوى أنها لغة مختصة بهم فغير ظاهر لأنها محفوظة في لغة جميع العرب منذ كانوا" (الألوسي، د.ت. 1/ 348)، ما يدل دلالة صريحة عن التطور الدلالي لهذه الكلمة عند العرب قبل نزول القرآن وبعده من معان مختلفة، ومن جانب آخر: أن هذا الاستعمال فصيح يندرج تحت الأسلوب اللغوي باعتبار ألفه فالعرب :" كانوا إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا: راعنا، أي يا أحمق- فالألف حينئذ لمد الصوت- وحرف النداء محذوف"، (الألوسي، د.ت. 1/ 348)، قياسا على ما ذكره الفراء نقلا عن الرضي:" أن أصل يا زيد يا زيدا- بالألف- ليكون المنادى بين صوتين، ثم اكتفي بـ(يا) ونوي الألف، ويحتمل أنهم أرادوا به المصدر، أي- رعنت رعونة- أو أرادوا صرت راعنا وإسقاط- التنوين- على اعتبار الوقف"، (الرضي، د.ت. 350/1)، وفيه من المعنى ما فيه على رأي النحويين، فقد ورد بمعان عدة منها أنها تدل على فعل من أفعال الطبائع ونحوها كحسن ،وقبح، وكبر، وصغر، فمن ثمة كان لازم(الرضي،1395 هـ - 1975 م. 74/1)، أما الجانب الثاني هو المعنى الوظيفي لدى المحققين من النحويين أنها بمعنى: لا تقولوا قولاً ذا رُعونة، على جهة أنه صفةٌ لمصدرٍ محذوفٍ، على طريق النسب، وصيغة (فاعل) على هذا تكون للنسبة- كلابن وتامر- أي: قولا منسوبا إلى الرعونة - كلابن وتامر- ووَصْفُ القول به للمبالغة، كما يقال: كلمة حمقاء (الألوسي، ، د.ت.1/ 348، والرازي، د.ت. 3/ 635).

2- قال تعالى:﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، (البقرة، 259)، الشاهد قراءة قوله تعالى:﴿فَصرهُنَّ﴾، بكسر الصاد وتشديد الراء من التَّصْرِيَة، رويت عن عِكْرِمَةَ (العكبري، د.ت.111/1)، وقرأ ابن عباس: ﴿فَصُرَّهُنَّ﴾ بتشديد الراءِ مع ضَم الصادِ وكسرِها، مِنْ: صَرَّه يَصُرُّه إذا جَمَعه؛ إلا أنَّ مجيءَ المضعَّفِ المتعدِّي على يَفْعِل بكسر العين في المضارعِ قليلٌ، وعلى هذا التعليل تتبين علاقة الشذوذ بالاختلاف الدلالي لهاتين

القراءتين، وهو قلة الاستعمال، كما نص على ذلك الحلبي، (الحلبي، د.ت. 2/ 576)، وأورد أبو البقاء تعليلا لمنْ شَدَّد الراءَ بأنَّ:" منهم مَنْ يَضُمُّها، ومنهم مَنْ يفتَحُها، ومنهم مَنْ يكسِرُها مثل: (مُدَّهُنَّ) فالضمُّ على الإتباعِ، والفتحُ للتخفيفِ، والكسرُ على أصلِ التقاءِ الساكنينِ " (العكبري، د.ت.111/1)، والمعنى في الجميع من صره يصره إذا جمعه"، (العكبري، د.ت. 111/1)، غير أن ابن خالويه يفرق بين القراءتين معنى وأصلا ويبين ذلك بقوله :"... فالحجة لمن ضم أنه أخذه من صار يصور، إذا مال وعطف وأنشد شاهدا لذلك ...، والحجة لمن كسر أنه أخذه من صار يصير إذا جمع، ومعناه فقطعهن وأجمعهن إليك"، (1401 هـ. ص101)، ويقول الزبيدي:" (صُرَّهُنَّ) من الصَّرِّ أي: الشَّدِّ، والثانية: (فَصِرَّهُنَّ) من الصَّرِيرِ أي: الصوت، أي: صِحْ بِهِنَّ" (د.ت.361/12، مادة: صور).

وأكثر ما يهمنا في هذا المبحث أن هذا الاختلاف الحركي يأتي نظرا لتأثر الحركات، وقد رأينا أن فاء الفعل لهذه اللفظة تعاقبت عليها الحركتان في القراءة الشاذة وهما الكسر والضم مع تشديد الراء في القراءتين، فعند الصوتيين يدل على وجود حركة دلالية صوتية، وهي ظاهرة عربية بين القبائل، وعلل الدكتور عبده الراجحي بالقول:" في هذه الظاهرة فإنهم ينسبون الكسر إلى أهل الحجاز لأنه أخف" (د.ت. ص134)، وأما الضم فإنهم ينسبونه إلى قبائل تميم وقيس، وأسد وبكر،(ابن جني، 1420هـ- 1999م. 351/1، والأندلسي، 1420هـ. 4/ 597، 136/6، 341)، فهي قبائل بادية، والضم أنسب لما فيه من ثقل وميل إلى الخشونة والقوة، وكلاهما صائت طويل، وبناء على هذا التحليل تتضح دلالة المعنى لكلا القراءتين على النحو الذي بيناه .

3- قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾،(الأعراف،132)، الشاهد قراءة قوله تعالى: ﴿والقمل﴾، والقَمْل: بفتح القاف وسكون الميم فيه لغتان: القُمَّل كقراءة العامة، والقَمْل كقراءة الحسن البصري. وقيل: القمل: البراغيث، فالمعاني اللفظية لهذه الكلمة تكون بحسب ما عليه القراءة من أوجه متعددة، فقيل هي: القِرْدان وقيل: دوابٌّ تشبهها أصغرَ منها، وقيل: هي السُّوس الذي يخرج من الحنطة، وقيل: نوع من الجراد أصغر منه، وقيل: هو القُمَّل المعروف الذي يكون في بدن الإنسان وثيابه،(الأزهري، 2001م. 237/3، و الجوهري، 1407 هـ - 1987 م. 1805/5، مادة: قمل)، وهو ما ذهب إليه الحلبي في تفسيره مستدلا بهذه القراءة، - قراءة التخفيف- بفتح القاف وسكون الميم، حيث قال بعد أن سرد المعاني السابقة:" ويؤيد هذا- الذي يكون في بدن الإنسان...- قراءة الحسن..."، (الحلبي، د.ت. 5/ 434)، ويرى بأن القُمَّل والقَمْل لغتان بمعنى واحد، والاسم منه مجازا: القملة،. وجوز الفَرّاء أَن يكونَ واحدُ القُمَّلِ قامِلٌ، كراكِعٍ ورُكَّعٍ، (الزبيدي،د.ت. 285/30. مادة: قمل)، وفرّق العكبري بين قراءتي التشديد والتخفيف، فرأى أن المعنى بالتشديد يكون في الطعام، وبالتخفيف يكون في الثياب ونحوها، (د.ت. 283/1)، ويمكن أن تكون المشددة صغار القردان يعرف عند العرب بـ(الحَمْنان واحدتها حَمنانة)، (ابن كثير، 1419هـ. 417/3)، فالذي يتضح أن ما بين التشديد والتخفيف اختلاف في المعنى لا في المبنى عند أهل اللغة، وبناء عليه كانت قراءة الحسن البصري اختيارا على الأصل وهو التخفيف، غير أن التشديد دلالة على زيادة المعنى في اللفظ، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن بين الفتح والضم تعاقب؛ نظرا لاختلاف لغوي بين اللهجات العربية، حيث إن الفتح يعزى إلى أهل

الحجاز دلالة على التخفيف والضم إلى تميم لما فيه من ثقل، فناسب أن يكون التشديد مع حركة الضم زيادة في المعنى والتخفيف مع السكون أقلّ منه معنى –وهو أحد أوجه الشذوذ، وتناسبا مع البيئة في كلا القراءتين، وفي نظري أن قراءة الحسن البصري جاءت وفقا لطبائع البيئة الحجازية وتصورا للهجة السائدة عندهم، فضلا عن أنه بصري نسبا وقراءة(الهُذَلي، 1428 هـ – 2007 م. ص 59).

4–قال تعالى:﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾، (الأعراف، 156)، الشاهد قراءة قوله تعالى :﴿هدنا﴾، فاختلاف القراءة فيها من الجانب الدلالي بين ضم فائه، وكسرها– وهي محل الدراسة– مرده إلى أصل عينها واوا أو ياء، قال أبو حيان:" وهادُوا في ألِفه قولان: أحدُهما أنه من واو، والأصلُ: هاد يهودُ أي تاب،...ومنه سُمِّي اليهودُ لأنَّهم تابُوا عن عبادةِ العِجْلِ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، أي تُبْنَا، وقيل: هو من التَّهْويد وهو النطق في سكون ووقار،...، وقيل: هو من الهَوادة وهي الخضوعُ. الثاني: أنها من ياء، والأصلُ: هاد يَهِيد، أي: تحرَّك ومنه سُمِّي اليهودُ لتحرُّكهم في دراستِهم" (1420هـ. 1/406،405، والأزهري، 2001م. 2/360–361، مادة: هاد)، فعلى التأصيل الأول، تضمنت عند أهل المعاني معنى الميل والتوبة إليك، إذ يقال لمن تاب: هاد (أبو عبيدة، 1381هـ. 1/ 229، والزجاج،1408 هـ – 1988 م.2/ 380)، وعلى التأصيل الثاني –هاد يهيد–، تضمنت معنى التحرك، والجذب، والميل، مع كسره وهي قراءة ابن مجاهد، وزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَبُو وَجْزَةَ، وعلى هذه القراءة دلالة لحركة حسية تأتي مع شعور النفس بالذنب طلبا للغفران، والفعل فيها يكون مبنيا للمعلوم ومبنيا للمجهول أيضا، أي: حركنا وحركنا غيرنا، وهي لغة ضعيفة على رأي أهل اللغة قياسا على قولهم: عِدْتُ المريض من العيادة (الزمخشري ، 1407هـ. 2/165)، وهو ما قد يفسر وجه شذوذها دلاليا، ومع هذا فهي على هذا الوجه جائزة لفظا، إذ إن المعنى متى ما حصل معه التباس فالواجب تعاقب الحركات عليه لإزالة ذلك الالتباس، خشية التباس المبني للمجهول بالمبني للمعلوم،(الألوسي،د.ت. 5/72)، قال سيبويه:"، فإذا قلت: (فعل) صارت العين تابعة، وذلك قولك: باع، وخاف، وهاب، وقال. ولو لم تجعل تابعةً لالتبس فعل من باع وخاف وهاب بـ(فعل)، فأتبعوهن (قال)، حيث أتبعوا العين الفاء في أخواتهن ليستوين، وكرهوا أن يساوي فعل في حالٍ، إذ كان بعضهم يقول: قد قول ذاك. فاجتمع فيها هذا، وأنهم شبهوها بأخواتها حيث أتبعوا العين فيهن ما قبلهن، فكما اتفقن في التغيير كذلك اتفقن في الإلحاق"(1408 هـ – 1988 م. 4/342).

فاختيار الكسر هنا والذهاب إليه دون الضم من ظواهر اللغة عند القبائل الحجازية المتحضرة، في حين أن الميل إلى الصائت الأثقل (الكسر أو الضم)، يظل عند قبائل البادية خيارا (الراجحي، د.ت. ص135).أضف إلى ذلكم، العلاقة الصوتية الحميمة بين الحركات وأصوات الحلق إذا كانت أوائل أو ثواني فتأتي الحركة وفق ما يحدث من تناغم وانسجام بينهما من ناحية، ولما بين البدل والمبدل منه من قرابة لا تتحقق مع وجود الحركة الأخرى وهي الفتحة من ناحية أخرى، قال عبد الصبور شاهين:"...ولذا كانت الحركة المختارة بديلا عن الفتحة هي الكسرة لدى البدو".(شاهين، 1427هـ، 2007م. ص290).

فإن ما سبق من المتغيرات التي أشرنا إليها في التحليل الدلالي لهذه القراءات تغيرات قياسية تضمنت معانيَ مختلفة دل عليها التغيير الذي طرأ على اللفظة القرآنية، فإذا علمنا ذلك أدركنا مدى تأثر هذه التغيرات (الشاذة) بالاختلاف الدلالي على النحو الذي بيناه قرين كل قراءة.

5- قال تعالى:﴿كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾، (الدخان،43)، الشاهد قراءة قوله تعالى:﴿ المهل﴾، التعاقب بين الضم والفتح يعد ظاهرة لهجية بين القبائل العربية، فكثيرا ما يكون الضم عند أهل البادية من العالية ونجد وتميم وأسد، والفتح عند أهل الحجاز، ومن نظائره في القراءات الصحيحة، قراءة قوله تعالى:﴿ قرح﴾، (آل عمران، 140)، بفتح القاف وضمه، وقراءة قوله تعالى:﴿ كرها﴾، (الأحقاف،14)، بفتح الكاف وضمه، وفي الشواذ قراءة يحي بن يعمر:﴿ولِوَلدي﴾ بضم الواو:"جمع وَلد كأسد وأُسُد وخَشبَة وخُشُب. وقد يجوز أن يكون الوُلْد أيضًا جمع وُلْد كالفُلْك في أنه جمع الفُلك، ومن كلامهم:وُلْدُكِ من دمي عقِبيكِ"، (ابن جني، 1420هـ- 1999م.1/365)، وقراءة قتادة وطلحة والأشهب:﴿ ولا تركنوا﴾ (هود، 113)، بضم الكاف، فدل هذا في عمومه أن المعنى بالفتح يلائم البيئة الحضرية لما فيه من الخفة، وأن معنى الضم يدل على الثقل وهو المعنى الدلالي الذي يناسب طباع أهل البادية، مما يعني أن الحركة لها أثر في تصور اللهجة وطباع أهلها، وبناء على ما ذكر تتضح دلالة الفتح في القراءة الشاذة، وهو التؤدة والرفق والسكينة والوقار (الزبيدي، د.ت. 30/ 430، مادة: مهل) لغة في المهل بالضم، (الحلبي، د.ت. 9/ 628) الذي هو:" ضرب من القطران إلا أنه مَاءٍ رَقِيق شَبيه بالزيت لمهاوَتِه يضْرب إِلَى الصُفرة، وَهُوَ دَسِمٌ يُهْنَأُ بِهِ الْإِبِل فِي الشّتاء"، (الأزهري، 2001م.6/ 171)، فتكون من الأضداد من حيث المعنى قال الفارسي:" الميم والهاء واللَّام أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تؤَدةٍ، والآخر جنسٌ من الذَائبات.فالأوَّل التُّؤدةُ. تقول: مَهْلًا يَا رَجُلُ، وكذلك للاثنين والجميعِ. وإذا قَال: مَهْلًا قالوا: لا مَهْلَ واللَّهِ،...وقال أبو عبيدٍ: التَّمَهُّلُ: التَّقَدُّمُ، وهذا خلاف الأوَلِ، ولعله أن يكون من الأضداد"، (ابن فارس، 1420هـ - 1999م. 5/ 282)، ولعل هذا ما يفسر علاقة الشذوذ بهذا الاختلاف.

الخاتمة

بعد عرض وتحليل لنماذج من القراءات الشاذة، أسفرت الدراسة على النتائج الآتية:

1. أن معالم التجمعات القرآنية كانت أغلبها منحصرة في القبائل العربية من أهل الحجاز، وتميم، وقيس، ونجد.
2. كشفت الدراسة أن الشذوذ في القراءات وصلته بالخلافات الصرفية، والدلالية بمختلف صورها، هو قلة استعمالها على الرغم من موافقتها العربية.
3. أن القراءات الشاذة ثروة لغوية لا ينبغي إهمالها، ووصفها بالشذوذ في الدراسات اللغوية الحديثة هضم لحقها ينبغي الابتعاد عنه.
4. أن القراءات الشاذة في الجانب اللغوي الحديث مازالت مهملة وتستحق الدراسة في أغلب جوانبها اللغوية، فهي حقل واسع من المفردات اللغوية والأشباه والنظائر أحرى أن يفرد لها بالدراسة.
5. أن ما دُرس في هذا البحث يكشف لنا وجود مسوغ لغوي معتبر لهذه القراءات يدخلها في حقل الفصحى.
6. من أثر الشذوذ في القراءة: ظهور بعض الاختلافات الصرفية والدلالية.

وفي الدراسة الكثير من المواضع القرآنية الشاذة ثرية غضة لا تزال مجهولة، وحسبنا الاجتهاد والإشارة،

التزاما بالشرط وخوف الإطالة، وما التوفيق إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث/ د. إبراهيم عبدالله

المراجع:

أولا: القرآن الكريم:

مصحف الجماهيرية، برواية الإمام قالون، طبعة الهيأة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة.

ثانيا: الكتب المطبوعة:

1. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن،(د.ط، 1381هـ) ، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة.
2. الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، (الطبعة: الأولى، 2001م) المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
3. الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد بن الهروي، معاني القراءات، (الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1991م)، مركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
4. الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح، (الطبعة: الأولى 1421هـ- 2000م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

5-الألوسي، أبو الفضل، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،(د. ط، د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

6. الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط ،(د.ط، 1420 هـ)، دار الفكر . بيروت. النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، (د.ط، د.ت)، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب.
7. ابن جني، أبو الفتح، عثمان، الخصائص، (الطبعة: الرابعة، د.ت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
8. ابن جني، أبو الفتح، عثمان بن جني المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ، (الطبعة: الأولى في ذي الحجة سنة 1373هـ - أغسطس سنة 1954م)، دار إحياء التراث القديم.
9. ابن جني، أبو الفتح، عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها،(د.ط، 1420هـ- 1999م) ، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
10. ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، (الطبعة: الرابعة ،1401 هـ) دار الشروق، بيروت.
11. ابن سيده، أبو الحسن، علي بن إسماعيل، المخصص، (الطبعة : الأولى، 1417هـ 1996م)، تحقيق : خليل

إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

12. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»،(د.ط، 1984م)، الدار التونسية للنشر، تونس.

13. ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب، الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (د..ط، د.ت)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت.

14. ابن فارس، الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، (د.ط، 1420هـ - 1999م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان.

15. ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم،(الطبعة: الأولى - 1419 هـ)،. المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت.

16. ابن يعيش، أبو البقاء، يعيش بن علي بن أبي السرايا محمد بن علي، شرح المفصل(د.ط، د.ت)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب.

17. البغدادي، عبد القادر، شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل صاحب خزانة الأدب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، (د.ط،1395 هـ - 1975 م)، حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما، الأساتذة: محمد نور الحسن - محمد الزفزاف - محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

18. الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،(الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت.

19. الحلبي، السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،(د.ط، د.ت).

20. الراجحي، عبده، اللهجات العربية في القراءات القرآنية،(د.ط، د.ت)، دار المعرفة الجامعية.

21. الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (د. ط، د.ت).

22. رضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، ،(د.ط، د.ت)، تحقيق وتصحيح وتعليق: أ. د. يوسف حسن عمر.

23. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد، تاج العروس من جواهر القاموس،(د.ط، د.ت)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

24. الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم السَّرِي، معاني القرآن وإعرابه ، (الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م)، عالم الكتب، بيروت.

25. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، ، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل(الطبعة: الثالثة، 1407 هـ) ، دار الكتاب العربي، بيروت.

26. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها (الطبعة: الأولى، 1418هـ 1998م)، المحقق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.

27. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الكتاب(الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988م) المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

28. شاهين، عبدالصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، (الطبعة الثالثة،1427هـ، 2007م) مكتبة الخانجي، القاهرة.

29. العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، (د.ط، د.ت)، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية- لاهور.

30. العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن،(د.ط، د.ت)، المحقق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

31. الفارسي، أبو عليّ، التّكملة، (د.ط، 1419 هـ،1999 م)، تحقيق ودراسة د. كاظم بحر المرجان، الطبعة: الثانية، عالم الكتب.

32. الفراء، أبو زكرياء، يحيى بن زياد بن عبد الله، معانى القرآن (الطبعة: الأولى، د.ت)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

33. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن،(د.ط، د. ت) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة .

34. النجار، عبد المنعم محمد، الصوت اللغوي عند القدامى والمحدثين، (الطبعة: الأولى، 1421هـ) ، دار الطباعة المحمدية.

35. الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي، التفسير البسيط، (الطبعة: الأولى، 1430 هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد ابن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

36. اليشكري، يوسف بن علي بن جبارة، أبو القاسم، الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، (الطبعة: الأولى، 1428 هـ - 2007 م) المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر.

ثالثا: المجلات العلمية:

1. الدرعية، (رجب 1422هـ/ أكتوبر 2001م) إبدال الحروف الصوامت حروفا صوائت في اللغة العربية، (4)، العدد:15.